

الأهمية العلمية للإحصاء في حقل الأسلوبية

The scientific importance of statistics in the field of stylistics

فرج حمادو¹، عبد المجيد عيساني²Fredj Hamadou¹, Abdelmadjid Aissani²1 جامعة قاصدي مرباح، ورقلة (الجزائر)، algeriefialgerie@gmail.com2 جامعة قاصدي مرباح، ورقلة (الجزائر)، Aissani.ab@univ-ouargla.dz

تاريخ النشر: 2026/05/31

تاريخ القبول: 2024/09/28

تاريخ الاستلام: 2023/10/16

المخلص: تهدف هذه الدراسة إلى تناول دور الإحصاء في حقل الأسلوبية و تبيان أهميته العلمية والإجرائية كتقنية وأداة قياسية، خاصة و أنّ الأسلوبية امتازت به، واستثمرته في إدخال المنهج الكمي في تحليل النصوص. فلم تعد بذلك الأسلوبية بمعزل عن الدراسات الدقيقة في تدعيم التفسير الكيفي لظواهرها اللغوية بالتفسير الكمي . وباعتماد المنهج الوصفي في معرفة مفهوم الإحصاء وأهميته، وكذلك نشأته في الدراسات اللغوية عامة، ثمّ في حقل الأسلوبية خاصة، وباعتماد الإحصاء الوصفي في معرفة مظاهر ومستويات استخدام الأسلوبية لهذه التقنية، خلصت دراستنا إلى أنّ الأسلوبية بلغت في جانب استثمار الإحصاء لقراءة النصوص درجة عالية من التمكن والنضج المنهجي، وكان ذلك على ثلاث مظاهر أو مقاييس؛ قياس نسب الظواهر اللغوية، قياس كثافتها، قياس التوزيعات التكرارية. ومنه نوصي بتكثيف البحث في هذا الجانب والاستعانة بالتقانة أكثر .

كلمات مفتاحية: لسانيات، أسلوبية، تحليل النصوص، قياس كمي، إحصاء.

Abstract

This study aims to expose the role of the use of statistics in the field of stylistics and to demonstrate its scientific and procedural importance as a scientific technique and measurement tool characterizing this field and investing in it through the introduction of the quantitative approach in text analysis. Therefore, stylistics is no longer isolated from exact studies since it supports the qualitative interpretation of linguistic phenomena with a quantitative interpretation. By following the descriptive method to know the concept of statistics and its importance, as well as its origins in linguistic studies in general, then in the field of stylistics in particular, and also by following the descriptive statistical method to know the aspects and levels use of this technique in the field of stylistics, our study concluded that stylistics, in terms of investment of statistics in the reading of texts, has reached a high degree of mastery and methodological maturity, and this has been manifested in three functions: Measuring the proportions of linguistic phenomena, measuring their density, and measuring frequency distributions. We therefore recommend intensifying research in this area and making greater use of this technique.

Keywords: linguistics; Stylistics; text analysis; quantitative measurement; statistics.

1. مقدمة:

يكتسي الإحصاء مكانة وأهمية في العلوم الإنسانية موازاة مع العلوم الدقيقة رغم الإقرار بالتفاوت في ذلك بينهما، فمنذ بدايات القرن الماضي، بدأت العلوم الإنسانية تشق طريقها نحو البحث عن المنهج العلمي في كشف ورصد ظواهرها ومناقشة تساؤلاتها، فكان لزاماً أن تنجح إلى إقران التحليلات الكيفية بالقياسات الكمية ليكون الإحصاء على اختلاف طرق وأساليبه المنهج الأنسب لذلك.

ولم يقتصر هذا التحول المنهجي على العلوم الاجتماعية والنفسية القابلة للقياس في كثير من ظواهرها؛ بل الدراسات اللغوية أيضاً، بذلك شكل الإحصاء في اللسانيات الحديثة وسيلة وغاية؛ وهذا تماشياً مع دعوة اللسانيات إلى دراسة اللغة دراسة علمية تستدعي الخروج من مألوف الوصف التجريدي المحض إلى استثمار القياس من خلال الإحصاء منهاجاً وسبيلاً. ولا شك أنّ أبرز الفروع اللسانية التي استثمرت الإحصاء في كشف ظواهر النصوص وميزاتها، حقل الأسلوبية (stylistique)؛ هذا الفرع العلمي الواسع الذي تمخض عن اللسانيات العامة، ثم اكتسب موضوعاً لسانياً ونقدياً محدداً مجاله في تحليل الأساليب كما وكيفا؛ فكان بذلك آلية بارزة في تطبيقات الأسلوبية.

على هذا الأساس، وفي هذا السياق المنهجي والعلمي، تتأسس ورقنتا البحثية في معالجة دور الإحصاء كإجراء قياسي منهجي بحقل الأسلوبية ومعرفة بداياته ثم آلياته، وكيف انتقل من أفكار غير ناضجة قياسياً في الدراسات اللغوية عامة إلى الاستخدامات الدقيقة مما هو عليه في التطبيقات الأسلوبية الحديثة. لذلك تماشياً مع الموضوع، نطرح التساؤلات الآتية: ما مفهوم الإحصاء كإجراء منهجي وقياسي؟ وما دوره في الدراسات اللغوية؟ وما حدود أهميته العلمية والإجرائية في مجال الأسلوبية؟

ولإجابة التساؤلات السالفة الطرح، وتحقيقاً لمقاصد الورقة البحثية من معرفة الإحصاء في الدراسات الأسلوبية، اعتمدنا على منهج وصفي ثم اعتمدنا الإحصاء بشقيه الوصفي والتحليلي؛ حيث أوضحنا مفهوم الإحصاء ونشأته في الدراسات اللغوية العربية والغربية، ثم قمنا تحليلياً بتحديد إمكانات الإحصاء في إفادة حقل الأسلوبية، والمظاهر والمستويات النصية التي يغطيها.

2. الإحصاء؛ ماهيته وأهميته في الدراسات العلمية:

1.1. الإحصاء لغة:

يعود لفظ إحصاء في اللغة العربية إلى الفعل "أحصى". وأحصى الشيء، أي عرف قدره، وأحصى الكتاب، حفظه. (مجمع اللغة العربية، 2004، صفحة 180) ومن معانيه، أحصيت الشيء، بمعنى عدته وأطقته. (بن

فارس، 1979، صفحة 70) وكلّها معاني سبق إليها ابن منظور من معنى العدّ والإدراك والإحصاء؛ وجمعها معنى الإحاطة: عدّ الشيء، أحاط به. والشاهد في التتيزيل: "وأحصى كلّ شيء عدداً"، أيّ أحاط علمه سبحانه باستيفاء عدد كلّ شيء. (بن منظور، دت، صفحة 184)

وفي المقابل الأجنبي، يعني مصطلح الإحصاء "statistique" أو "statistics" بالإنجليزية رجل الدولة، واللفظ من الجذر اللاتيني "status"، وهو مرادف للفظ "état"؛ أيّ الدولة أو الحالة. (ROBERT, 1994, p. 1061) لكن المصطلح خرج إلى الاستخدامات العلمية من إحصاء وتخطيط، ووصف للحالة أو الوضع.

2.2. الإحصاء اصطلاحاً:

الإحصاء في مفهومه الاصطلاحي هو "مجموعة من النظريات والطرق العلمية التي تبحث في جمع البيانات، وذلك باستخدام الأرقام والرموز والدوال الرياضية والمقاييس والجداول والرسومات البيانية، ثم عرضها وتحليلها واستخدام النتائج في التنبؤ أو التقرير". (زايد، 2004، صفحة 22)

كما يعرف الإحصاء بأنه العلم الذي يبحث في:

—طرائق جمع البيانات الصحيحة حول ظاهرة ما، ثم تلخيصها بياناً في صورة مبسطة (جداول، منحنيات) يسهل قراءتها واستخدامها.

—وصف البيانات ثم تحليلها واستخراج النتائج.

—دراسة علاقة ظاهرة بظاهرة أخرى، والتنبؤ بها في المستقبل. (جامعة الملك عبد العزيز، 1429، صفحة

(6)

ويوجز ديفيد جيه هاند بعض التعريفات الدقيقة للإحصاء، وذلك بوصفه: "تكنولوجيا استخراج المعنى من البيانات"، (جون هاند، دت، صفحة 10) و"تكنولوجيا التعامل مع عدم اليقين، العلم الرئيس للتنبؤ بالمستقبل، علم لصنع استنتاجات حول المجهول، علم لإنتاج ملخصات مناسبة من البيانات". (جون هاند، دت، صفحة 10) نلاحظ استخدام التعريفين لمصطلح "تكنولوجيا"، وهذا إشارة إلى الصبغة التطبيقية والتقنية التي يكتسبها الإحصاء؛ لأن التكنولوجيا وسيلة لتطبيق للعلم وضبطه.

كما يعرف الباحث مصطفى زايد الإحصاء بأنه "فرع من الرياضيات، يختص بالنظريات والطرق الموجهة نحو جمع البيانات ووصفها واستقرائها، وذلك لصنع القرارات". (زايد، 2004، صفحة 22) فمن شأن تلك الطرق تنسيق وقائع كثيرة في كل صنف؛ بحيث يمكن الحصول على نسب عددية، مستقلة استقلالاً ملموساً عن المصادفة

واستثناءاتها، ودالة على وجود العلل المنتظمة التي انعدم فعلها بوجود العلل الفجائية. (لاند، 2001، صفحة 1336)

3.2. الأهمية العلمية للإحصاء:

أحدث هذا الإجراء الرياضي (الإحصاء) ثورة في جميع المجالات والتخصصات في القرن العشرين، (سالمبورغ و شاي، 2003، صفحة 14) وشهدت معه العلوم نقلة إبستمولوجية من الحتمية الفيزيائية إلى القيمة الإحصائية. (علي، 2005، صفحة 102) فخرجت بذلك بعض النّصّورات إلى العلن والوضوح، والمنطق العلمي المعلّل حسابيا، بعيدا عن تمحلات الفلسفة وتصوراتها التجريدية، لذلك أصبحت الرياضيات حديثا -كما يقال- ومنها الإحصاء هي أم العلوم بجدارة، وليس الفلسفة رغم أنساقها المتوارثة.

اكتسب الإحصاء مع هذه المكانة وجودا كليا على حدّ تعبير جون هاند "John Hand؛ (جون هاند، دت، صفحة 9) فما من جانب من جوانب الحياة الحديثة إلا ومّسه هذا العلم، لذلك أصبحت الطرق الإحصائية تحظى باهتمام متزايد في مختلف فروع المعرفة، ومنها فروع المعرفة الإنسانية عامة، واللغوية والأسلوبية على الخصوص، إلى درجة اعتبار الإحصاء العلم الأكثر إثارة وأهمية على الإطلاق. (جون هاند، دت، صفحة 9)

3. الإحصاء في الدّراسات اللغوية العامة:

1.3. الإحصاء في الدراسات اللغوية القديمة:

جاء استخدام الإحصاء في شكله البسيط منذ زمن بعيد تاريخيا في مجالات كثيرة، ومنها الجانب اللغوي؛ إذ عرف لدى الأمم والحضارات القديمة لدواع كثيرة؛ فقد استخدمه الهنود في حساب مقاطع وكلمات كتاب الفيدا، واستعمله النّساخ من اليهود أيضا في شريعتهم قصد تسجيلها وحفظها. كما استخدمه نحاة الإسكندرية في إحصاء كلم هوميروس، واستخدمه العرب المسلمون أيضا في إحصاء حروف وكلمات القرآن الكريم. كل ذلك قبل أن يصبح الإحصاء علما مستقلا وأداة منهجية متكاملة تستخدم في شتى المعارف والاختصاصات. (فضل، دت، صفحة 191)

وقد سبق العرب علماء الغرب في استخدام الإحصاء في الجانب اللغوي، خاصة في الجانب المعجمي والعروضي، ولا أدل على ذلك من جهود ومؤلفات علماء التراث العربي والإسلامي، والتي تكشف اهتمامهم المبكر والخاص بهذا الإجراء وتطبيقاته في فهم اللغة، فأجروا دراسات كمية وإحصائية على الحروف وتواترها وتناظرها وتمازجها. (مرياتي، علم، و الطيان، دت، صفحة 25)

كما اهتم أصحاب علم التعمية ومدرجاتهم أو ما يعرف الآن بالشفرة وفكها أيضا بتطبيقات الإحصاء اللغوي، وذلك منذ القرن الثالث الهجري (القرن التاسع الميلادي)؛ حيث الذين أحصوا الحروف العربية في النصوص المكتوبة، ووقفوا على مبلغ دوران كل حرف منها، وقسموها إلى كثيرة الدوران ومتوسطة وقليلة. (فضل، دت، صفحة 191)

ومشهود للعرب كذلك، سبقهم للتصنيف في هذا الجانب العلمي قبل أعلام التعمية الغربيين بنحو ستة قرون. (علم، 2014، صفحة 30) ومن الأوائل الذين سبقوا إليه في هذا المجال، أبو بكر الباقلاني (ت 403 هـ)، والذي أشار إلى ظاهرة التصنيف في الحروف المقطعة بعد إحصائها بطريقة شيقة؛ حيث عدّها نظرات بيانية إشارة إلى الإعجاز البياني في القرآن الكريم. (بكر، 2019، صفحة 26)

2.3. الإحصاء في الدراسات اللغوية الحديثة:

اشتهر الإحصاء في المجال اللغوي بمفهومه العلمي حديثا عند الأوروبيين، وذلك من خلال أبحاثهم في ميدان اللسانيات التطبيقية؛ كتعليمية اللغات الأجنبية، ونظرية الترجمة الآلية، (Parker, 1958, p. 67) وتعود تعود أولى الأبحاث اللغوية الإحصائية إلى نهاية القرن الثامن عشر، سنة 1790 تحديدا في فرنسا، وهذا من خلال استبيان اللغوي الإحصائي هينريغريغوار (Henri Grégoire)، حول لهجة أهل الريف وآدابهم. وكشف غريغوار من خلال نتائج الاستبيان، أنّ اللغة الفرنسية لا يتكلم بها في الواقع إلا في 15 إقليما أو مقاطعة. في حين تستعمل باقي المقاطعات وعددها 83، لهجات محلية ريفية. (Filhom, 2016, p. 15)

ومن الأعمال الإحصائية اللغوية البارزة في أوروبا كذلك، الدراسة المعجمية للألماني فريديريك كيدينغ (Friedrich Keating)، وقد جسدها معجم الترددات اللفظية في اللغة الألمانية، والذي أحصى فيه ما لا يقلّ على 11000000، و20000000 مقطع صوتي. وقد بنى كيدينغ عمله الإحصائي بالاعتماد على 110 مجموعة إحصائية نصّية، تضمّ كلّ منها 100.000 مفردة تمّ جمعها من 14 مصدرا مختلفا. (Njock, 1973, pp. 29-30)

ثم شهدت الدراسات اللغوية الإحصائية الأوروبية بعد ذلك توسّعا ملفتا، وتطوّرا كبيرا، خاصّة مع الإعلام الآلي. (Brunet, 2004, p. 15) وقد أرجع إتيان برينيه (Etienne Brunet) تطوّر الأبحاث اللغوية الإحصائية إلى أعمال مؤسس اللسانيات الحاسوبية اللغوي الأمريكي جورج زيپف (George Zipf) منذ سنة 1935. وقد اشتهرت أعماله بما سمي بمبدأ أو قانون زيپف (ZIPF)، أو مبدأ الأقلّ جهد في التّواصل، وهي في المجال

المعجمي، ومجال اكتساب اللغة، ومجال المحادثة. كما استخدم هذا المبدأ بشكل أوسع في مجالات أخرى لغوية وغير لغوية، كعلم النفس وعلم الاجتماع، وعرف فيها بقانون "الرتبة مقابل التردد".

وظهر في إنجلترا هذا الفرع العلمي تقريبا في نفس الفترة تزامنا مع ظهوره في فرنسا؛ إذ عرف تحت مسمى اللسانيات الكمية، وكان ممثله الأبرز اللغوي والقانوني المختص في الإحصاء غوستاف هاردان (Gustav Herdan) بين سنة 1968 و1897، واشتهر مؤلفه بـ "اللسانيات الكمية" (Quantitative linguistics). (Herdan, 1957, pp. 314-320)

أما ميلاد اللسانيات الإحصائية كتخصص علمي ناضج، فكان في بداية ستينيات القرن الماضي؛ حيث أشار إلى ذلك بيار غيرو (Pierre Guiraud) منذ 1954، مبشرا بما أسماه بـ "التخصص الجديد"، وقد قَدَّم من خلاله عملا ببلوغرافيا إحصائيا قيما. ومن الأعمال اللغوية الإحصائية التي اشتهرت في أوروبا أيضا، أعمال اللغوي الفرنسي تشارل مولر (Charles Muller) بين 1909-2015، والذي يعدّ من رواد اللسانيات الإحصائية، وهو مؤسس موقع أورطونات التعليمي على الأنترنت "Ortonet"، ومن أعماله:

-Principes et méthodes de statistique lexicale (1993)

-Initiation aux méthodes de statistique linguistique (1993)

ولم يكن الباحثين العرب المعاصرين بمنأى عن الدراسات الإحصائية، ومنها الدراسة الإحصائية لجذور معجم الصحاح لعلّي حلمي موسى، والمنجزة سنة 1971؛ حيث تمتد هذه الدراسة إلى الحروف الداخلة في تركيب تلك الجذور. وقد استعان صاحبها في ذلك بالحاسوب، وقَدَّم عرضا إحصائيا لجذور مفردات الواردة في المعجم. (موسى، 1978، صفحة 10)

كما أجرى إسماعيل أحمد عمارة دراسة إحصائية في باب الشرط موسومة بـ "جهود النحاة بين النظرية والتطبيق"؛ حيث استخدم الحاسوب في إحصاء تكرار أنماط الجملة الشرطية في نصوص من بعض كتب النحو كعينة للدراسة، وهي "كتاب سيبويه"، "المقتضب للمبرد"، "الجمال للزجاجي"، "الإيضاح العضدي للفارسي"، "المفصل للزمخشري". (فضل، دت، صفحة 191) وأضافت حليلة عمارة أيضا دراسة إحصائية معنونة بـ: "جملة النداء بين النظرية والتطبيق"، قدمت فيها الباحثة صورة لمدى سيرورة قواعد النداء في واقع الاستعمال اللغوي في النصوص القديمة من جهة، وفي مجموعة من المصادر النحوية من جهة ثانية على رأسها كتاب سيبويه. (فضل، دت، صفحة 191)

4. الإجراءات الإحصائية في الدراسات الأسلوبية:

1.4. مكانة الإحصاء في الدراسة الأسلوبية:

اقتربت الأسلوبية واغترفت من بعض العلوم الأخرى غير اللغوية، وتداخلت معها في بعض التصورات النظرية والمنهجية، كعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وغيرها، شأنها في ذلك شأن بقية العلوم التي تداخلت وتكاملت فيما بينها. ومبتغى الأسلوبية في كل ذلك، الوصول بخطابها إلى درجة العلمية، وبممارساتها إلى الموضوعية، وبتفكيرها إلى الضبط المنهجي. وكان من العلوم التي امتزجت معها الأسلوبية علم الإحصاء.

واعتمادا على ما تقدّم عرضه سلفا في مجال الإحصاء، يمكن حصر زوايا إفادة الأسلوبية من الإجراءات الإحصائية، والتي من شأنها تعزيز الطابع الموضوعي لنتائجها، وتعميق البعد العلمي في دراستها، لتكون تلك الإجراءات تمهيدا لإجراء التحليل والدراسة الأسلوبية في النقاط التالية:

- يساعد الإحصاء الدراسة الأسلوبية في تشخيص ظواهرها، وذلك بالوصف الكمي الدقيق عن طريق الأرقام والنسب. ومعلوم أنّ الدقة الوصفية لها الأثر الإيجابي في نوعية التحليل، ومصادقية نتائجه.

- يفيد توظيف الإحصاء للأسلوبية في التعامل الموضوعي مع النصوص، من خلال الوصف العددي لا اللغوي، وهذا من شأنه أن يجنبها - ولو نسبيا - السقوط في مطب الذاتية، ويخلصها من النزعة الانطباعية.

- قابلية الدراسة الأسلوبية الإحصائية للاختبار، وذلك لأن الإحصاء يفيد في إطلاق حكم ما عن ظاهرة أو سمة أسلوبية معينة أو نفيها؛ بحيث إذا كان من الباحثين من يشكك في نتائج دراسة أسلوبية ما مثلا عن استخدام مؤلف معين لخاصية أسلوبية محددة في نصوصه، فبإمكانه التأكد عن طريق إحصائها، وهو ما يسمى بالفحص الإحصائي.

- تشكل الإجراءات الإحصائية منهجا لا غنى للدارسين الأسلوبيين عنه حينما يتعلق الأمر بدراسة مادة ضخمة كميا، أو دراسة تشمل أعمال فترة زمنية بأكملها، حيث لا يمكن التعامل مع ضخامة هذه المدونة إلا من خلال الإجراءات الإحصائية، ولا يمكن التوصل إلى نتائج دقيقة من خلال الملاحظة البسيطة والسطحية.

- تضيف الإجراءات الإحصائية على الدراسة الأسلوبية جانبا شكليا تنظيميا من خلال الجداول الإحصائية المرفقة، وكذلك الأشكال والمخططات البيانية المختلفة، وهذا يوفر الاختصار، ويسهل التعامل مع مادة الدراسة ونتائجها، كما يعزّز فيها الطابع المنهجي.

2.4. مستويات ومظاهر الإحصاء في الدراسة الأسلوبية:

يعود تطبيق الأساليب والطرق الإحصائية في مجال الأسلوبية امتدادا لأعمال الأسلوبية التعبيرية؛ (سيد يوسف، 2011، صفحة 47) حيث تتأسس تلك المقاربة على فرضية إمكان الوصول إلى الملامح الأسلوبية للنص عن طريق الكم. كما تقترح إبعاد الحدس لصالح القيم العددية. (بليث، 1999، صفحة 58)

وبما أن الأسلوبية هي علم الانزياحات اللغوية، والإحصاء هو علم الانزياحات عامة، فمن الجائز إذن، اعتماد الإحصاء للأسلوبية حتى تصبح الواقعة الشعرية قابلة للقياس، ويبرز متوسط تردد الانزياحات التي تقدّمها مقارنة بالنثر. (كوهن، 1986، صفحة 16)

وتعدّ معادلة بوزيمان "Busumann" المعطى النظري الأكثر شمولاً للإحصاء في مجال الأسلوبية؛ حيث يتمّ عن طريقها تمييز النص الأدبي عبر تحديد النسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير؛ التعبير بالحدث، والتعبير بالوصف. ويقصد بالأول الكلمات المعبرة عن حدث أو فعل، وبالثاني الكلمات المعبرة عن صفة. (مصلوح، 2002، صفحة 74) ويتم حساب هذه النسبة بإحصاء مجموع كلمات مظهري التعبير الأول والثاني، ثم إيجاد خارج قسمة المجموعة الأولى على المجموعة الثانية، فنكون القيمة العددية الناتجة عن القسمة، دالة على أدبية الأسلوب؛ حيث كلما زادت، اقترب طابع اللغة من الأسلوب الأدبي، وكلما نقصت، كان أقرب إلى الأسلوب العلمي. (مصلوح، 2002، صفحة 74)

ويشكّل النص في ضوء المقاربة الإحصائية مجتمعا إحصائيا، يتمّ تصنيفه إلى عينات، تشمل كل عينة ظاهرة فنية - أسلوبية - محددة قصد رصدها إحصائيا، وذلك بحساب نسب تواترها ومقارنتها بنسب أخرى عن طريق استعمال الجداول والرسوم البيانية. (وغليسي، 2010، صفحة 121)

ويدخل في نطاق المقاربة الإحصائية كل ما يمكن إحصاؤه أو قياسه مثل متوسط طول الكلمات والجمل، أو العلاقات بينها، أو العلاقات بين النعوت والأسماء والأفعال، ثمّ مقارنة هذه العلاقات الكمية مع مثيلاتها في نصوص أخرى. (بليث، 1999، صفحة 59)

وترمي المقاربة الإحصائية عموما إلى تقديم عمل وصفي دقيق، ومحدّد بالأرقام (البيانات) للظواهر التي يمكن أن تبرز في نص ما. ومن هذه المظاهر:

- استخدام مفردات معجمية معينة دون أخرى.

- الزيادة أو النقص النسبيين في استخدام صيغ لغوية معينة، أو نوع من الكلمات (صفات - أفعال - ظروف - حروف جر...).

- طول الكلمات أو قصرها.

-طول الجمل.

-نوع الجمل (اسمية- فعلية- بسيطة- مركبة- إنشائية- خبرية.....).

-إيثار تراكيب أو مجازات أو استعارات معينة.(السيد، 2009، صفحة 216)

تتأسس المقاربة الإحصائية في مجال الأسلوبية بشكل عام على ثلاثة أسس؛ قياس نسب الظواهر الأسلوبية (ratio)، قياس كثافة الظواهر الأسلوبية (density)، قياس التوزيعات الاحتمالية المختلفة للظواهر الأسلوبية (distributions).

أ. قياس نسب الظواهر الأسلوبية:

ويتم حسابها بإحصاء عدد مرات تكرار ظاهرة أسلوبية معينة وعدد مرات تكرار ظاهرة أخرى في نص محدد، ثم قسمة حاصل جمع تكرار إحداهما على حاصل جمع تكرار الأخرى؛(مصلوح، 2002، صفحة 58) ففي المقطع التالي، يمكننا قياس نسبة الجمل الاسمية إلى الجمل الفعلية الواردة فيه كالآتي:

سارية خفاقة الجناح تواصل الغدو بالروح

تبيت في مهد من البطاح باكية بمدمع سفاح

ضحكة كثيرة النواح منشورة في الأفق كالوشاح

تحملها كواهل الرياح.(البارودي، 1998، صفحة 114)

بلغت نسبة تكرار الجمل الفعلية مقارنة بالاسمية $\frac{3}{4}$ ؛ أي ثلاثة أرباع مجموع الجمل في المثال المذكور. ونسبة تكرار الجمل الاسمية $\frac{3}{4}$ ، وهي أرقام ذات دلالة؛ حيث تبين غلبة استعمال الصيغ الاسمية على الفعلية، وربما هذا لكون الشاعر في معرض الوصف، والوصف تتناسبه التراكيب الاسمية.

ب. قياس كثافة الظواهر الأسلوبية:

ويتعلق مدلول هذا المعطى في الأسلوبية بمعدل ورود أو تكرار متغير أسلوبى ما، كتكرار نوع محدد من الجمل مثلا، فكثافة المتغير الأسلوبى هي كثافة نوع معين من الجمل،(مولوجي، 2008-2009، صفحة 103) كالجمل البسيطة أو الجمل المركبة أو التراكيب الاسمية أو الفعلية... ويتحقق بقسمة عدد من النوع المراد قياسه على طول النص؛ أي على المجموع الكلى لعدد الجمل أو المقاطع أو الكلمات في النص،(مصلوح، 2002، صفحة 58) وبذلك تتحدد كثافة ذلك النوع من الجمل في النص كخاصية أسلوبية. فلو أخذنا مثلا على ذلك معلقة امرئ القيس التي تحصى 81 بيتا، وعدد جملها 117، منها 39 جملة اسمية و 78 جملة فعلية، فإذا أردنا قياس كثافة الجمل الاسمية في المعلقة، قمنا بقسمة عدد مرات ورودها الذي هو في حدود 39 على مجموع أنواع الجمل

الذي يصل إلى 117؛ أي $(117/39) = 0.33$ بما نسبته 33%، وهي قيمة عددية ضئيلة مقارنة بنسبة ورود الجمل الفعلية ذات قيمة 0.66؛ أي 66%.

وتشير هذه النسبة إلى ضعف نسبة ورود الجمل الاسمية تقريبا؛ فالجمل الفعلية في المعلقة تمثل متغيرا أسلوبيا هاما أو سمة مهيمنة، بما يدل على أن الشاعر كان في حركية بعيدا عن الهدنة والسكون، كما أن كثرة استعمال الجمل الفعلية في المعلقة ملائم لكثرة الأحداث وتنوع الوقائع، ولعل أبرز المواقف التي تتطلب استعمال الجملة الفعلية أكثر، تلك المواقف العاطفية، والانفعالية كالشكوى والحنين. (بلقاسم، 2012، صفحة 117)

ج. القياس الإحصائي للتوزيعات التكرارية الأسلوبية:

يحمل الأسلوب مفهوما احتماليا بامتياز؛ بمعنى أنه استعمال خاص للغة، يقوم على استخدام عدد من الإمكانيات والاحتمالات اللغوية المتاحة مقابل إمكانيات واحتمالات أخرى. وتكاد تقوم النظرة الإحصائية للأسلوب على هذا المفهوم؛ إذ من الممكن أن نوجز أسس النظرية الإحصائية للأسلوب على أساس هذا المفهوم الاحتمالي؛ (مصلوح، 2002، صفحة 52) أي أن توقع وجود ظاهرة أسلوبية ما، يكون باحتمال معين"، وفي عالم الاحتمال لا يكون وقوع الظاهرة (أ) محكوما تماما بوجود الشرط (س)؛ بحيث في وجود الشرط (س)، تقع كل من الظواهر (أ) و (ب) و (ج) باحتمال معين". (مصلوح، 2002، صفحة 52)

ونستطيع معرفة احتمال أو توقع حدوث أي ظاهرة من تلك الظواهر عن طريق حساب التوزيع الاحتمالي لها، وقياس التوزيع الاحتمالي للظواهر أو المتغيرات الأسلوبية، يسمح في نفس الوقت بقياس تكرارات تلك الظاهرة أو المتغير الأسلوبية. (مولوجي، 2008-2009، صفحة 103) كما تجدر الإشارة إلى أن قياس التوزيع الاحتمالي أو التكراري للظواهر الأسلوبية ضروري لاستكمال بقية المعالجات الإحصائية، مثل قياس الوسط الحسابي والوسيط والموال، وكذلك الوسط الهندسي، حيث تمثل في مجملها هي الأخرى إجراءات ضرورية لاحتساب أو قياس النزعة المركزية للنصوص.

عموما، تهدف تلك العمليات المتضمنة في الأسس الإحصائية الثلاثة التي سبق بيانها، والتي تعدّ بمثابة التشخيص الأسلوبية إلى تحقيق الوصف الإحصائي للنصوص، وذلك قصد إبراز السمات الأسلوبية لكل خطاب.

3.4. مآخذ استخدام الإحصاء في الدراسات الأسلوبية:

رغم الأهمية العلمية والعملية والمنهجية للإجراءات الإحصائية في الدراسة الأسلوبية، لكنها لم تسلم من بعض المآخذ والعيوب، وقد أشار إليها كل من ستيفن أولمان (Stiphen Ullmann)، وسعد مصلوح وشفيق السيد وغيرهم، ونسوق فيما يلي بعض المآخذ:

- عدم مراعاة الإجراءات الإحصائية للسياق في التحليل الأسلوبي.
- الإجراءات الإحصائية "تعوزها الحساسية الكافية للتقاط بعض الملاحظ الدقيقة في الأسلوب: كالظلال الوجدانية والأصداء الموحية وغيرها....". (السيد، 2009، صفحة 217)
- يمكن أن تضفي البيانات العددية دقة زائفة على معطيات معقدة وصعبة الضبط، مثل تعامل الإجراءات الإحصائية مع الصورة الشعرية خاصة في النصوص التي توظفها بشكل كثيف ومتراكب.
- تقدم الإجراءات الإحصائية الكم على الكيف، وتحشر عناصر شديدة التباين على صعيد واحد بناء على تشابه سطحي.
- تتوصل الدراسة الأسلوبية عن طريق الإجراءات الإحصائية في بعض الأحيان إلى نتائج قد تكون معلومة، ويتوصل إليها بالملاحظة البسيطة، ولا تحتاج إلى تلك الإجراءات.
- بعد عرض بعض المآخذ، يمكننا مقابلتها بالمزايا التي يحظى بها الإحصاء، فما كان -فيما نرى- لتلك العيوب والمآخذ أن تنقص من شأن الإجراءات الإحصائية، ولا جدواها العلمية في الدراسة الأسلوبية؛ لأن قيمته العلمية مثبتة، وفائدته الموضوعية ملموسة. كما تشكل تلك الإجراءات الإحصائية مقاربة مفتاحية ومنهجية، ومنطلقا تحليليا، لذا يتسنى للدارس الأسلوبي عدم الوقوف عندها، ولا الاقتصار عليها؛ بل ينبغي أن يتجاوزها إلى تفكيك المضامين، وتحديد الدلالات. (وغليسي، 2010، صفحة 123)

5. خاتمة:

بعد معرفة دور الإحصاء في الدراسة الأسلوبية، وكيف كان هذا الحقل اللساني سباقا في استثماره وإدخال المنهج العلمي القياسي في رصد الظواهر وتحليل النصوص، نخلص إلى القول بأن استخدام الإحصاء في مجال الأسلوبية كان له أثره البارز وذلك من خلال إضفاء اللمسة الموضوعية على طبيعة دراساتها، وذلك من شأنه أن يكسب تلك الدراسات في مجال الأسلوبية الدقة الوصفية اللازمة ويعزز فيها الجانبين العلمي والمنهجي.

وبعد تبيان ما مدى إفادة الأسلوبية من الجانب الإحصائي نخرج بجملة من الاستنتاجات نورد أهمها كما يلي:

- 1- الإحصاء هو الأداة القياسية والرياضية ذات الكفاءة العالية والبرهان القاطع في قياس الظواهر وتفسير اتجاهاتها، وكذلك مدى حضورها وغيابها.
- 2- إذا كانت الدراسة اللسانية تسعى وتدعو إلى استثمار المنهج العلمي في وصف ودراسة اللغة، فإنّ للأسلوبية وخاصة الإحصائية منها فضل السبق والريادة في ذلك من خلال استثمار تقنية الإحصاء.

3- تعدد مجالات ومظاهر الإحصاء في التحليل الأسلوبي، واختلفت بين قياس الكثافة ونسبة الحضور، وكذلك معرفة التكرارات والاحتمالات، وبذلك وجدت النقد والتحليل الأسلوبي آليات دقيقة في دم التفسير الكيفي للظواهر بالقياس الكمي الدقيق.

4- من مآخذ التحليل الكمي القياسي أو الإحصائي في التحليل الأسلوبي الغلو والمبالغة فيه لدرجة جعله غاية أكثر من وسيلة في بعض الدراسات.

5- من مآخذ التحليل الإحصائي الأسلوبي أحيانا عجزه عن اختراق بعض الجوانب الفنية والمجازية في النصوص والخطابات ذات الصبغة الأدبي.

6- رغم تلك المآخذ النسبية للإحصاء في مجال الأسلوبية، إلا أنه يظل الوسيلة الأنجع في سبر أغوار النصوص كميا، لذا نوصي بتعميق البحث والاجتهاد في هذا المجال.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1. Etienne Brunet (2004). La lexicométrie française :Naissance, Evolution et Perspectives .*Revue de l'Université de Moncton*, (2-1)45 ،
2. Filhom, A. (2016). Les langues dans les enquêtes de la statistique publique, bilan et perspectives. *Langage et société*, 1(155).
3. Herdan, G. (1957). Language as choice and chance. *The American Journal of Philology*, 78(3).
4. Njock, P. (1973). *La lexicométrie allemande*. Québec.Canada: Centre international de recherches sur le bilinguisme.
5. Parker, A. (1958). The use of Statistics in Linguistic Research. *Mechanical Translation*, 5(2).
6. ROBERT. (1994). -*Dictionnaires LE ROBERT POUR TOUS* (éd. 3). Paris, France.

7. أحمد بن فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة (الإصدار 1، المجلد 2). بيروت، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
8. آمال يوسف سيد يوسف. (2011). علم الأسلوب (الإصدار دط). الدمام، المملكة العربية السعودية: مكتبة المتنبي.
9. أندريه لالاند. (2001). موسوعة لالاند الفلسفية (الإصدار 2، المجلد 3). (أحمد خليل خليل، المترجمون) بيروت: منشورات عويدات.
10. إيمان فاطمة الزهراء بلقاسم. (2012). الجملة الفعلية البسيطة المثبتة في معلقة امرئ القيس. مجلة الممارسات اللغوية (10).
11. جامعة الملك عبد العزيز. (1429). مقدمة في الإحصاء لطلاب الدراسات الاقتصادية والإدارية (الإصدار دط). السعودية: جامعة الملك عبد العزيز.
12. جون كوهن. (1986). بنية اللغة الشعرية (الإصدار دط). (محمد الولي، و محمد العمري، المترجمون) المغرب: دار توبقال للنشر.
13. خالد بكرو. (2019). المعطيات الرقمية في القرآن الكريم. المجلة الأكاديمية للإعجاز العلمي، 40(2).
14. ديفيد سالسبورغ، و ذواقة شاي. (2003). كيف أحدث الإحصاء ثورة علمية في القرن العشرين (الإصدار 1). مكتبة العبيكان: السعودية.
15. ديفيد جون هاند. (دت). علم الإحصاء مقدمة قصيرة جدا (الإصدار 1). (أحمد شكل، المترجمون) مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
16. سعد مصلوح. (2002). الأسلوب دراسة لغوية إحصائية (الإصدار 3). القاهرة، مصر: عالم الكتب.
17. شفيق السيد. (2009). الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي (الإصدار 2). مكتبة الآداب: القاهرة، مصر.
18. عاطف فضل. (دت). تمثيلات المنهج الوصفي الإحصائي في الدراسات اللغوية الحديثة. مجلة التربية والعلم، 17(4).
19. علي حلمي موسى. (1978). دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر (الإصدار دط). الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، مصر.

20. قروحي صورية مولوجي. (2008-2009). الترجمة الأدبية في ضوء الأسلوبية الإحصائية. رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الترجمة. وهران: قسم الترجمة، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة السّانّيا.
21. مجمع اللغة العربية. (2004). المعجم الوسيط (الإصدار 4). مصر: مكتبة الشروق الدولية.
22. محمد بن مكرم بن منظور. (دت). لسان العرب (الإصدار دط، المجلد 14). بيروت، لبنان: دار صادر.
23. محمد مرياتي، يحي مير علم، و محمد حسان الطيان. (دت). علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب (الإصدار دط). دمشق، سوريا: مطبوعات مجمع اللغة العربية.
24. محمود سامي البارودي. (1998). ديوان البارودي (الإصدار دط، المجلد 14). بيروت: دار العودة.
25. مصطفى زايد. (2004). علم الإحصاء (الإصدار 2). مصر: مطابع الدار الهندسية.
26. نبيل علي. (2005). تكنولوجيا المعلومات وتطور العلم (الإصدار 1). القاهرة: المكتبة الأكاديمية.
27. هنريش بليث. (1999). البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النصوص (الإصدار دط). (محمد العمري، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: أفريقيا الشرق.
28. يحي مير علم. (2014). ريادة العرب في الإحصاء اللغوي. مجلة جامعة المنوفية (عدد شهر جويلية).
29. يوسف وغليسي. (2010). مناهج النقد الأدبي (الإصدار 3). الجزائر: جسور للنشر والتوزيع.